جائزة نوبل لدوريس ليسينغ

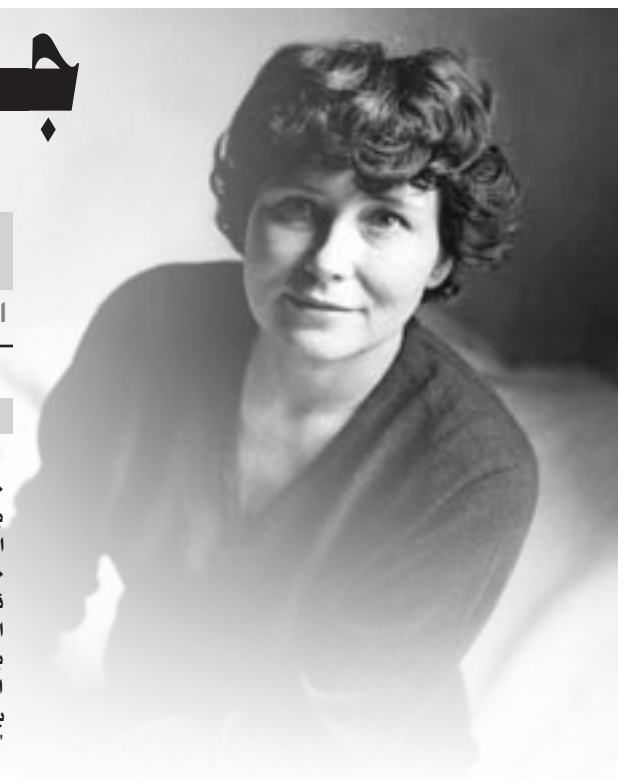

ابتسام عبد الله

❖ العجب ليس في فوز دوريس ليسينغ بنويل، العجب انها لم تفز بها حتى اليوم.
❖ انا مجرد ساردة قصص

قبل بضع سنوات، في حفل ادبي في السويد، وجدت دوريس ليسينغ نفسها بجوار رجل صغير الحجم من لجنة النوبل والذي استدار نحوها ليقول بلهجته السويدية.
"لن تفوزي يوماً بجائزة نوبل نحن لا نحبك".
وفي يوم الخميس الماضي اعلن عن فوز دوريس لسينغ في الاكاديمية السويدية لنوبل في خضم مشاعر الفرح والدهشة والاعجاب لمنح الجائزة لهذه الكاتبة التي كانت تستحقها منذ زمن بعيد.
دوريس ليسنغ كاتبة معاصرة تناولت في اعمالها قضايا متعددة منها العنصرية، النوع البشري، العدالة الاجتماعية، وتعتبر واحدة من اهم الاصوات الادبية لجيلها لقد سبقها كتاب انكليز الى هذه الجائزة ومنهم: هارولد بينتر قبل عامين ويليام تشرتشل، ١٩٥٣ ويليام غولدينغ ,١٩٨٣ في حياة دوريس ليسينغ ثلاث مراحل بارزة الاولى في الخمسينيات متأثرة بتجربتها في روديسيا، شيوعية الانتماء، وكانت روايتها "العشب يغني" قد حققت لها النجاح، وبدأت في تناول موضوعات اجتماعية كما في عملها "اطفال العنف" الذي صدر في اجزاء (السياسة الثورية كان موضوعاً عادت اليه ليسينغ عام ١٩٨٥ في عملها "الارهابي الجيد" وشخصية مارثا كويست المرأة التي تعرف نفسها بالثائرة.
وتعتبر لسينغ اكبر الكتاب الذين نالوا نوبل وتقول عن التقدم في السن: "السر الكبير هو انك لا تتغير حتماً في السبعينيات او الثمانينيات من العمر الجسد يتغير ولكنك لا تتغير على الاطلاق.
وهذه عبارة تعتبر صادقة من امرأة عاشت الاحداث المهمة في القرن العشرين، الحروب: والقنوط واليأس في الحرب العالمية الثانية، الحرب الباردة واخيراً الحرب المضادة والعولمة.
وتقول "بدأت الكتابة عن الحاجز اللوني ثم اصبحت شيوعية ثم مناصرة لقضية المرأة ثم متصوفة اخيراً.
وتقول: "احب اعمال كاتبين انكليزيين: نيبول وهارولد بينتر اصبحت رمزاً في عالم روايات نهاية الخمسينيات
المرحلة الثانية كانت في اعوام الستينيات، عندما بدأت في استكشاف مناطق العقل وفي هذه المرحلة طبعت "المذكرة الذهبية" الذي يعتبر من افضل اعمالها، وتتناول في الرواية العالم الداخلي للبطلة آنا وولف، بطلة اخرى لها تريد ان تعيش حرة وكرست هذه الرواية دوريس ليسينغ واحدة من افضل عمالقة الادب في العالم.
في السبعينيات بعد طبع تجربة اخرى، يختصر النزول الى الجحيم، انغمرت ليستنغ في التجربة الصوفية، وروايات الخيال العلمي.
مع ليسينغ تندمج الضحكة والحكمة معاً ويمكن ان نصفها بعبارة تعتبر ليسينغ ابنة الامبراطورية البريطانية. ولدت في ايران عام ١٩١٩، ونشأت بعدئذ في روديسيا المستعمرة البريطانية (زيمبابوي).
لم تتلق تعليماً نظامياً تركت المدرسة وهي في سن الرابعة عشرة.
وتعزو قراءاتها واهتماماتها الادبية الى والدتها التي كانت تواظب على شراء الكتب الحديثة.
تزوجت وهي في الـ١٩ من عمرها، طلقت بعد فترة قصيرة، تزوجت ثانية من الماني يعيش في روديسيا ثم افترقت عام ١٩٤٩ وغادرت الى انكلترا مع ابنها بيتر مخطوطة العمل الاول لها، ومن ذلك الوقت وهي تعيش فيها.
دوريس ليسينغ تقترب اليوم من عامها الـ٨٨، وتقول: الكتابة شيء يجب ان افعله، ان كان علي التوقف، فاني سأبدأ بزرع الشوارع، احكي لنفسي القصص بصوت عال فانا مجرد ساردة قصص.

عن الاوبزرفر

عاملة الهاتف السابقة
الكاتبة البريطانية ليسينغ تفوز بنوبل للأداب
بقليل من الدهشة وبعد سنوات طويلة من الانتظار!

ترجمة / المدى

أصبحت جائزة نوبل للأداب من نصيب الكاتبة البريطانية دوريس ليسينغ، الإيرانية المولد، الروديسية النشأة، واللندنية الإقامة، التي اكتسحت كتاباتها المتسمة بالسيرة الذاتية على نحو عميق قارات العالم وهي تعكس ارتباطها بقضايا عصرها الاجتماعية والسياسية، كما جاء في مقال موتوكو ريتش وسارة لايل هذا.
وقد وصفتها الأكاديمية السويدية، وهي تعلن عن الجائزة، بأنها " كاتبة ملحمة الخبرة الأنثوية، التي قامت، من خلال التشكك، والغضب، والقوة الرؤيوية، بإخضاع الحضارة الانسانية المقسمة للتفحص والتدقيق. " وتقدر قيمة الجائزة بـ ١٠ ملايين كرون سويدي، أي حوالي ١,٤ مليون دولار.
والسيدة ليسينغ، التي تبلغ ٨٨ عاماً هذا الشهر، لم تنه أبدا الدراسة الثانوية وعلمت نفسها إلى حد كبير من خلال القراءة النهمة. وقد كتبت العشرات من كتب الأدب القصصي، بالاضافة إلى المسرحيات، ومجلدين من السيرة الذاتية. وهي المرأة الـ ١١ التي تفوز بجائزة نوبل للأداب.
ولقد علمت ليسينغ بالنبأ من مجموعة مراسلين خيمت عند عتبة بابها حين عادت من زيارة إلى المستشفى مع ابنها. وقالت: " فوجئت قليلاً بذلك لأني كنت قد نسيت كل ما يتعلق بالجائزة فعلياً. وقد ظل اسمي على القائمة القصيرة لوقت طويل. " وقالت، وصوت رنين هاتفها لا يصل من داخل البيت، أنها من ناحية ثانية لم تكن متفاجئة " لأن هذا الأمر ظل مستمراً لوقت يبلغ الـ ٤٠ عاماً "، مشيرة بذلك إلى عدد المرات التي ذُكرت فيها كمرشحة محتملة لهذا التكريم، " فإما أنهم سيمنحوني إياها يوماً ما قبل أن أرحل، أو لا على الإطلاق. "
بعد وقت قصير، استأذنت السيدة ليسينغ، التي تبدو بدينة، وحادة الفكر وقليلة السمع، للذهاب إلى الداخل، قائلة: " والآن سأذهب للرد على الهاتف، وأقسم على أنني صاعدة لأجد بعض الجمل المناسبة، التي سأستعملها من الآن فصاعداً. "
وبالرغم من أن ليسينغ عاطفية تجاه القضايا السياسية والاجتماعية، فإنها ليست على الأرجح عرضة للجدل كما كانت الحال مع الفائزين السابقين، أورهان باموق من تركيا أو هارولد بنتر من بريطانيا، اللذين كانت آراؤهما بشأن الأوضاع السياسية الراهنة قد أدت ببعض المعلقين إلى الارتياب في أن الأكاديمية السويدية تختار فائزيها جزئياً في هذا المجال لأسباب غير أدبية.
ويمكن أن يكون ميراث ليسينغ الأقوى هو أنها ألهمت جيلاً من مناصرات حركة مساواة المرأة بالرجل بروايتها المهمة، " الدفتر الذهبي ". The Golden Notebook
ولقد قالت الأكاديمية السويدية في نقدها: " إن حركة المساواة المتنامية رأت فيها عملاً رائداً، وإنها تنتسب إلى قلة من الكتب التي أغنت بمعلوماتها وجهة نظر القرن العشرين المتعلقة بعلاقة الذكر - الأنثى. "
وقد كتبت ليسينغ بصراحة عن الحيوات الداخلية للنساء ونبذت المفهوم القائل بأن عليهن أن يتخلين عن حياتهن وينصرفن للزواج والأطفال. وكانت روايتها " الدفتر الذهبي "، التي نُشرت في عام ١٩٦٢، تتبعاً لقصة آنا ولف، وهي امرأة أرادت أن تعيش حرةً وكانت، من بعض النواحي، هي أنا ego ليسينغ البديل. (أو نظيرها الداخلي، بتعبير آخر. المترجم).

وبسبب وصفها على نحو صريح للغضب والعدوان لدى النساء، تعرضت للتهجم عليها باعتبارها " غير أنثوية ". واستجابةً لهذا، كتبت ليسينغ، قائلةً " من الواضح، أن ما كانت تفكر به نساء كثيرات، ويشعرن به، ويجربنه، قد جاء كمفاجأة كبيرة. "
وبالرغم من أنها اعتُبرت بطلةً مبكرة لحركة مساواة المرأة بالرجل، فإن ليسينغ تنصلت لاحقاً من أنها كانت هي نفسها مناصرةً للحركة، وهو ما جلب عليها حنق بعض الأكاديميين والنقاد البريطانيين.
ولدت ليسينغ عام ١٩١٩ في ايران. وكان والدها موظف في مصرف، وأمها مدربة كممرضة. وبدافع من إغراء الوعد بثروة زراعية، انتقلت الأسرة إلى ما يعرف بزيمبابوي الآن، حيث قضت ليسينغ ما تدعوه بطفولة مؤلمة.
وقد غادرت البيت وهي في سن ١٥ عاماً، وفي عام ١٩٣٧ انتقلت إلى سالزبري (العاصمة هراري اليوم) الواقعة في جنوب روديسيا، حيث اشتغلت عاملة مقسم هواتف ومربية أطفال. وتزوجت في سن ١٩ وأنجبت طفلين. وبعدها بسنوات قليلة، ونتيجةً لشعورها بأنها سجينة، هجرت أسرتها. وتزوجت فيما بعد غوتفريد ليسينغ، عضو مركزي في (نادي الكتاب اليساري)، وهو منظمة يسارية، وأنجبا طفلاً.
وقد تخلت ليسينغ، التي انتمت للحزب الشيوعي في أفريقيا، عن النظرية الماركسية خلال الأزمة الهنغارية عام ,١٩٥٦ وعندما حدث طلاقها من السيد ليسينغ، انتقلت هي وابنها الصغير بيتر إلى لندن، حيث بدأت عملها الأدبي. وكانت روايتها الأولى، التي نُشرت عام ١٩٤٩، " العشب يغني The Grass Is Singing "، وقد أرّخت للعلاقة بين زوجة مزارع أبيض وخادمها الأسود. واعتمدت في عملها الأدبي ذاك على خبرات طفولتها في روديسيا الأستعمارية لتكتب حول التصادم بين الثقافتين السوداء والبيضاء والظلم العنصري. وبسبب من آرائها الصريحة، اعتبرتها حكومتا روديسيا وأفريقيا الجنوبية " أجنبيةً ممنوعة " عام ,١٩٥٦
عندما نُشر كتابها " الدفتر الذهبي " لأول مرة في الولايات المتحدة، كانت ليسينغ ما تزال غير معروفة. وذكر روبرت غوتليب ومحررها في دار النشر أنها باعت ٦٠٠٠ نسخة فقط. وكما قال غوتليب في مكالمة معه في منزله في نيويورك "لكنها كانت ٦٠٠٠ نسخة المناسبة، وقد كهربت الناس الذين قرأوها، وجعلت منها كاتبةً مشهورة في أمريكا. "
وتتضمن روايات ليسينغ الأخَر " الإرهابي الطيب " و" مطلب مارثا ".
وآخر رواية لها هي " الصدع The Cleft "، التي نُشرت في تموز الماضي. وكانت لها هواية في أدب الخيال العلمي، وتحمل بعض أعمالها اللاحقة بصمةً من اهتمامها بالروحانية الصوفية، التي فسّرتها بأنها تأكيد على رابطة بين أقدار الأفراد والمجتمع.
ولقد ذكرت صديقتها لين براين، التي قضت بعض الوقت في بيتها الذي شهد مجيء الزهور والشمبانيا ورنين الهاتف المستمر بالمناسبة، أنها سألت الكاتبة عن السبب في فوزها بالجائزة هذا العام، فأجابت: " لست أدري، فأنا مندهشة بشكل حقيقي لأنهم أهملوني كل تلك السنوات الماضية. "
وقالت السيدة براين أنه عندما رن الهاتف مرةً أخرى في ذلك اليوم، كان ذلك صديق آخر، وعدته ليسينغ باللقاء في مطعم صيني. وقد اعتذرت له الكاتبة، قائلةً إنها لا تستطيع، فقد فازت للتو بجائزة نوبل!

عن / نيو يورك تايمس

العمة دوريس أديبة نوبل

محمد الأحمد

ها قد فازت أخيرا العمة دوريس بجائزة نوبل للآداب، من بعد ان وصلت الى عامها الثامن والثمانين، ومن بعد ان وصلت اليها الجائزة وقد عصف بها الزمن وجعلها تمشي بتؤدة من دون أن تستعمل عكازا، وبعد سبعة جرفت السنوات الثقيلة كل ملامح البهجة من وجهها، لانها على مدى سبع وخمسين عاما من الكتابة، لم تعرف التوقف، عن حمل دفترها الصغير الذي سرعان ما يمتلئ لتعطيه إلى حفيدتها التي ستدون لها ما كتبته بواسطة مفاتيح الكومبيوتر، حيث بقيت تحبذ القراءة على الكومبيوتر، وليس الكتابة كما تقول لأغلب أصدقائها، فالعمة متوقدة الذهن تذهب للتسوق بنفسها، من دون ان تنسى بان تضيف كتابا جديدا في كل مرة الى سلتها الشرائية، المحملة بالخضار الطازج، عندها الاهتمام الأكبر بالقراءة من الاهتمام بالكتابة، تقرأ بالانكليزية والفرنسية والاسبانية، والفارسية، حيث كان مسقط رأسها في بلاد فارس (ايران) عندما كان ابوها ضابطا انكليزيا يعمل هناك. جالت طويلا في بلدان جنوب افريقيا، وعاشت قسما من طفولتها في افريقيا ما اثر كثيرا على اعمالها وعاصرت احداثا جساما وتحولات اقليمية حادة، تزوجت مرتين، وطلقت مرتين، وبقيت مناهضة بارزة لحركات تحرر المراة في العالم، كتبت مدافعة بقوة بالغة عن ضرورة افلات المرأة من الاستغلال الجسدي، وضرورة حمايتها من العنف الاسري، وقد ناضلت طويلا مناشدة العالم الرأفة بالمرأة ككائن شريك، وليس ككائن مملوك للرجل كالاسير الضعيف. كان خبر فوزها بجائزة نوبل قد وصلها عندما كانت لوحدها تحمل كيسها المعتاد، ورن هاتفها الجوال، وقد ردت على المتصل بانها لم تعد تهتم بالامر كما لو وصلها متاخرا، ولكنها فرحت كثيرا، قائلة:- (أوه السيد المسيح!... أنا لا أستطيع أن أهتم أقل). وقررت ترك التسوق لتعود الى شقتها وتستعيد هناك انفاسها، وايضا لتقاوم وقع الخبر عليها، كونها تدرك جيدا ما معنى ان يفوز اديب ما بجائزة نوبل العظيمة، وهي التي تعلمت من معظم الكتاب العباقرة الذين وصلوا اليها بواسطة نوبل الكبيرة، فهي تعتبرها جائزة ايصال الاعمال الادبية الى الخلود، وهي بلاشك مؤمنة بان نوبل تمنح وفق مناهج قويمة وبلاشك بانها ستجد اشهر الصحافيين ملاحقة امام عتبة دارها، وبالفعل عندما وصلت العمة دوريس وجدت جمهرة من الصحافيين ينتظرونها عند البوابة، وحملوا عنها كيسها الحافل بالخضار والفاكهة، ودون ان يتخلوا عن اضاءات الكاميرات الوهاجة والتي غالبا ماعودت عينيها على ان تهرب بهما من منابع الضوء الحاد، اتوا من كل مكان بالعالم يسألونها عن كل ما يخطر ببالهم، وهي تبتسم عند كل خطوة تتقدمها باتجاه بابها، كانوا يسألونها عن انطباعات ليست من صميم كتاباتها، كلها كانت تخطر ببالها، اغلبها تخص وقع الجائزة عليها، فبقيت تقول لهم بتواضع بانها قد ربحت (جائزة الجوائز) وان نوبل هذه ستجعل قراءها يزدادون ملايين المرات، وستقرأ الناس كتبها الباقية التي لم تنل الفرصة المناسبة من وسائل الاعلام، لانها كتبت كثيرا عن الارهاب، وكتبت عن التطرف المنتبذ، وخاصة الذي يغالي كثيرا بالدم المراق، ومن بين مؤلفاتها الأكثر شهرة (الكراسة الذهبية) و (مذكرات من نجا) و (الصيف الذي سبق الظلام)، كانت (ليسينغ) قد رشحت لجائزة بوكر ثلاث مرات، ولم تكن تعلم في يوم ما بانها سوف تكون مرشحة نوبل القوية على مدى حياتها، فالعمة دوريس ليسينج هي المرأة الحادية عشرة التي فازت بالجائزة منذ عام ١٩٠١م وهي الكاتب البريطاني الثاني الذي يفوز بالجائزة خلال ثلاث سنوات، حيث فاز بها الشاعر (هارولد بنتر) عام ٢٠٠٥م، وقد وصفت الأكاديمية السويدية ليسينج بأنها (كاتبة ملحمة تجربة المرأة التي سبرت أغوار حضارة متنازعة بتشككها والنار المتقدة في داخلها وقوة الرؤيا لديها)، وبالاضافة الى قيمة الجائزة المادية ستحصل ليسينج ايضا، على جائزة ذهبية ودعوة لالقاء محاضرة باجر مغر في مقر الأكاديمية السويدية، وايضا سوف تستلم مبلغا كبيرا من المال يعادل مليوني يورو، وحتما سوف تعاد طباعة كتبها في طبعات غالية وانيقة، ومذهبة التجليد كحال الادباء الخالدين الذين ابقت نوبل كتبهم مفخرة رفوف المكتبات الغنية، وسوف تترجم اعمالها قاطبة الى جميع لغات العالم، اضافة الى الطبعات الشعبية التي سوف تدخل بها جميع البيوت، وسوف يقتنيها الناس لتقرا في الحدائق والمترو وصالات الاستراحة. صارت العمة موريس اليوم تبلغ العام ٨٨ هذا الشهر، وسوف تعد الفائزُ الأكبر سناً لجائزة الأدب. بالرغم من أنها تحتفل بنشر (دفتر الملاحظات الذهبي) الذي دونت فيه ملاحظاتها المهمة عن علاقتها بالكتابة وتجربتها المحضة ، وعلى الاغلب لديها الكثير من الأعمال الأخرى غير المنشورة، ففي سنواتها الاخيرة غير مثيرة للاهتمام الاعلامي، ولم تنشر نتاجها الجديد حيث إنتقدت شديدا، و اتهمت بغرابة الأطوار. (أنا لا أستطيع قول ما فأنا مغمورة بالمفاجأة)، وقالت ايضا. (أنا بعمر ٨٨ سنة وهم لا يستطيعون إعطاء نوبل إلى شخص ما قد مات، لذا أعتقد هم كانوا يعتقدون من المحتمل بأنهم يحسنون أوضاع من يعطونه)، سوف تبلغ دوريس ليسينج الثامنة والثمانين من العمر في ٢٢ تشرين الاول.
تقول:-(انا فرحة لان القراء سوف يقرأون كتابي الجديد الذي خفت عليه من ان اموت ويضيع مع ما يتركه الميت من ملابس)، وان نوبل تسحبهم نحو كتابها الأخير، (ألفريد وإيميلي) الذي يتخيل عودة أبويها الى الحياة ولم تكن الحرب حطمتهم، كما (أعطيتهم حياة بدون حرب)، قالت: (أعطيتهم حياة، حياة محترمة)، وقد جعلها الخبر تحث خطاها للتهرب من تعاظم ضجيج الاعلاميين حولها، من بعد ان منحت ككاتبة بريطانية يوم الخميس وكفائزة بجائزة نوبل للاداب حسبما اخبرتها الاكاديمية السويدية. وجاء في بيان صادر عن الاكاديمية السويدية ان لجنة نوبل اختارت مكافأة الروائية البريطانية التي تتحدث عن (التجربة النسائية والتي سبرت بتشكك ورؤية نافذة غور حضارة منقسمة). وفي لندن قالت متحدثة باسم دار الادب التي تمثل دوريس ليسينج لوكالة فرانس برس (نحن سعيدون جدا لانها استحقت فعلا) هذه الجائزة. كتبت الكثير من الاعمال المهمة وبقيت عضوة ناشطة في الحزب الشيوعي البريطاني حتى عام ١٩٥٦ خلال سحق انتفاضة (المجر) شبهت بجراتها في كثير من الاحيان بالكاتبة الفرنسية (سيمون دي بوفوار) بسبب افكارها المؤيدة لحقوق المرأة. واعدت من اشهر النسوة المتحررات في اوربا، اما كتابها الاكثر شهرة (ذي غولدن نوتبوك) يروي في هذا الاطار قصة امرأة كاتبة ناجحة تكتب مذكراتها في غاية الوضوح والصراحة. وايضا من بقية اعمالها الناجحة (الذهاب للوطن) (١٩٥٧) الذي تندد فيه بالتمييز العنصري في جنوب افريقيا (الارهابي الجيد ١٩٨٥) حول مجموعة من الشبان الثوريين من اليسار المتشدد.

نوبل من ادونيس الى دوريس

علي حسين

في السنوات الاخيرة ظل اسم الشاعر ادونيس يتردد في اخبار جائزة نوبل..فقبل اسابيع بدأ عدد من الصحف العربية ومواقع الانترنت تنشر اخبارا عن ترشيحه للجائزة ضمن قائمة شملت اربعة اخرين..وجاء في الاخبار ان الاكاديمية السويدية عازمة هذا العام على ترشيح ادونيس ضمن قائمة ابرز المرشحين لنيل الجائزة مما رفع امالنا نحن العرب بالحصول على الجائزة ثانية ومبعث هذا الامل ان مؤسسة ثقافية بحجم الاكاديمية السويدية حين تضع عينها على احد فان قطار الجائزة حتما سيصل الى محطته الا ان يوم الحادي عشر من هذا الشهر حمل لنا مفاجاة من العيار الثقيل فالاسماء التي ظلت صحفنا ترددها كل صباح لم يحظ أي منها باية جائزة بل ذهبت الجائزة الى بلاد الضباب لتفوز بها الكاتبة البريطانية دوريس لينسج البالغة من العمر ٨٨ عاما فتكون بذلك الاكبر سنا بين الفائزين بالجائزة منذ تاسيسها عام ١٩٠١ متوجة بذلك رحلة ادبية كانت حصيلتها خمسين كتابا وستة عقود من النضال السياسي الاجتماعي كانت فيها دوريس بحق الراوية الملحمية للتجربة النسائية التي سبرت غور حضارة منقسمة على نفسها معتمدة الشك والحماس والقدرة على الرؤية على حد وصف البيان الاكاديمية السويدية. الخبر الذي تناقلته وكالات الانباء عن فوز دوريس لينسج بالجائزة علق عليه احد الساخرين قائلا لاتحزنوا فالفائز الحقيقي كان ادونيس لكن يبدو ان خطا مطبعيا وقع في كتابة الاسم عند اعلان النتيجة فحول ادونيس الى دوريس ويبدو ان اصحاب القرار في الاكاديمية السويدية فوجئوا مثلنا نحن العرب بهذا التغيير لكن قضاء الله قد نفذ ولامرد لقضائه ولتاخذ دوريس العجوز الجائزة لتفرح في اواخر عمرها الم تصرح عقب ابلاغها بهذا الفوز قائلة (انا سعيدة جدا لكوني لازلت مع اتصال مع الناس.. حيث ان هذا الاتصال الحميم مع الناس في هذه السن المتاخرة. يبدو وكانه نوع من السحر المبهم).
ولينتظر ادونيس فرصة قادمة فحتما نحن العرب لدينا سحرا اكثر ابهارامن سحر دوريس يجعلنا نتغلب على المشاكل والاخطاء المطبعية.

❖❖❖

هكذا اذن يخذلنا السويديون إذ منحوا نوبل لعجوز بريطانية كانت ولاتزال شاهدة على قرن من الزمن بكل تناقضاته وتقلباته.. حياة ابتدات من الحرب العالمية الاولى وامتدت لترى افول نجم الشيوعية التي امنت بها في بداية حياتها لتشاهد على شاشات التلفاز كيف انهار جدار برلين.. سنوات طويلة من زمن الامبراطورية التي لاتغيب عنها الشمس الى زمن غوردن براون الذي قرران ان يغيب عن العراق.. امراة كتبت ضد العنصرية والاستعمار وناضلت في سبيل فضح جرائم التعرض العنصري واضطهاد المراة وعجوز لاتعرف سوى الادب طريقا للحياة كتبت بقسوة ضد الاستعمار والراسمالية والجرائم التي ترتكب باسم الديمقراطية وخاضت معارك لاتنتهي في سبيل الحركة النسوية تاتيها نوبل بعد ان سأمت من كل شيء وقررت ان تعتزل الكتابة رافضة عرض الملكة البريطانية بمنحها لقب سيدة الامبراطورية البريطانية حين ردت على صاحبة العرض بان الامبراطورية لم تعد موجودة.. امراة عاشت حياة اشبه برواية من رواياتها فما بين مولدها بأيران سنة ١٩١٩ من ابوين بريطانيين لاب كان يعمل نقيبا في الجيش وام تمارس مهنة التمريض فتحت عينها لتجد الاب وقد اصيب في الحرب العالمية الاولى فخرج منها مبتور الساق.. لايحظى بحب امها وانما بعطفها.. يعشق المغامرة وينتظر ان يرحل باسرته ليبحث عن الثروة والحياة الجديدة..في جنوب افريقيا عاشت دوريس حياة شاقة جعلتها تقول عنها في مذكراتها بانها كانت سنوات الخيبة لكنها تحملتها بشجاعة وكبرياء كانت طفولتها كما تصفها جرحا مفتوحا يسير على قدمين مما دفعها ان تجعل معظم ابطال رواياتها يعشيون حكايات صعبة وذكريات اليمة مع سنوات الطفولة.. تعترف ان وعيها تفتح حين قررت ان لاتكون مثل والديها الرجل المقعد والمراة المريضة بالوسواس.. الا تقع في شرك النمطية غذت في داخلها روح الثورة والتمرد على الاوضاع وتعترف:لقد صنعت لنفسي يوتوبيا خاصة كان الادب جزءا منها اردت ان اقول للعالم ماذا لو جعلنا الظلم والفقر والحرب امورا مستحيلة بالتاكيد ان الحياة سوف تكون اجمل وتمتلىء بالناس الرائعين.. تقرر ان تعيش حياة التمرد على سلطة الام المهووسة بالنظام واحترام التقاليد فتهجر مدرسة الراهبات في الثانية عشرة من عمرها ثم بيت اهلها وهي في الخامسة عشرة من عمرها لتعمل مساعدة ممرضة. تقرأ الكتب التي تستعيرها من الاصدقاء.. انها سنوات الضياع والحرية والحب. في بداية الثامنة عشرة من عمرها تتزوج من احد زملاءها في العمل. وفي الحياة الجديدة سوف تجد مجتمعا متغايرا تواصل من خلاله السعي لتجد ذاتها تنضم الى الدوائر السياسية وتعتنق الافكار اليسارية ويدفعها حبها للحياة الى مغادرة مجتمع جنوب افريقيا لتبحر صوب لندن فتصلها في العام ١٩٤٩ وهي تحمل معها طفلا رضيعا ومسودة اولى رواياتها والعشب يغني التي تروي فيها حكايات عن التمييز العنصري في جنوب افريقيا.. وتنشر الرواية عام ١٩٥٠ لكن كان على دوريس ان تنتظر دزينة من السنوات حتى يحتفي بها الوسط الثقافي في لندن بعد ان تقدم روايتها (المفكرة الذهبية) التي صنعت شهرتها الادبية وقدمتها كواحدة من المناضلات في سبيل حرية المراة من خلال تقديم شخصية امراة عصرية بعمق وتفصيل كبيرين.
مرحلة السبعينيات والثمانينيات مثلت تطورا جديدا بالنسبة لدوريس حيث تحولت كتاباتها الى مرحلة النضوج والتامل عبرت عنها رواياتها (بيان مجز وخماسية العنف ومذكرات من نجا والحب مرة اخرى وتقرير عن الجحيم) حكوائية للتجربة النسائية من الطراز الرفيع روتها بدقة وشفافية بدءا من الارهابية عن امراة برجوازية ضجرت من حياتها والتحقت بصفوف الجيش الايرلندي الى (الجدات) عن سيدتين كل منهما تعيش قصة حب مع ابن الاخرى وصولا الى اعذب الاحلام التي تقدم لنا فيها نفسها بانها المراة القادرة على تصوير اوضاع العالم بلغة شفافة انها المراة التي تركت كل شيء..الاهل والمدن والايديولوجيات لتكتشف الحياة بصورة اكثر نقاء ولتؤكد لنا وهي في الثامنة والثمانين من عمرها ان الابداع لايشيخ وان الموهبة الحقيقية تظل ساطعة طوال السنين.

❖❖❖

يكاد القراء العرب يجهلون ادب لسينج فصاحبة الخمسين كتاباً لم يترجم من اعمالها سوى القليل وقد اصدرت دار المامون في منتصف الثمانينيات ترجمة لروايتها (مذكرات من نجا)وفي نهاية التسعينيات نشرت دار الهلال ترجمة لروايتها الاولى العشب يغني وبالفترة نفسها تقدم احدى دور النشر على نشر ترجمة لروايتها الشهيرة المفكرة الذهبية الا ان الغريب في الامر ان القارىء العربي تعرف على دوريس الكاتبة المسرحية قبل ان يتعرف على الروائية فقد نشرت سلسلة المسرح العالمي عام ١٩٦٦ ترجمة لمسرحيتها الشهيرة (التيه) وهي المسرحية التي قدمتها للمسرح عام ١٩٥٨ لتنظم من خلالها الى جيل مسرح الغضب الذي اطلق صرخته (جون اوزوبورن) صاحب المسرحية الشهيرة (انظر الى الماضي بغضب) والتي عبر فيها عن الضياع لجيل ما بعد الحرب في بريطانيا. هذا الجيل الذي شهد بشاعات الحرب وخلوها من أي نوازع إنسانية في هذا المناخ تتقدم دوريس للمسرح لتقدم مسرحيتها الاولى والتي عبرت فيها عن الصراع الذي يقوم في المجتمع بين جيل الغضب وجيل السياسيين المتزمتين وهي لاتفقد معاني طرف لكنها تقدم صورة حية ونابضة لهذا الصراع. فالام (ماريا) عضو في كثير من الهيئات التي تناضل لنصرة قضايا الدفاع عن السلام تجد نفسها في المواجهة مع ابنها (توني) الذي يقرر الذهاب الى الحرب من اللحظة الاولى نرى ملامح الصراع فالام تشكر الظروف التي لم تجعل ابنها يذهب الى الحرب وتقول:-ربما كنت قتلت من اجل قضية لاتؤمن بها فيرد الابن:- ان يقتل الانسان من اجل شيء يؤمن به هذا بالتاكيد نوع من الترف في هذه الايام. شيء كان يتمتع به جيلك ام الان فالانسان يقتل فحسب.هكذا يعبر جيل توني عن خيبة الامل في كل شيء
تنشدونها.. يا الهي نحن ننجب جيلا حقيرا يحسب معاشه قبل ان يتخرج من المدرسة.
جيل من صغار البرجوازيين الفقراء نعم انا ابكي لقد عشت خمسين عاما اليس هذا وحده سببا كافيا للبكاء.
توني:- افترضي اننا قلنا للسياسيين نحن نرفض ان نكون ابطالا لقد سئمنا كل القضايا النبيلة فماذا سيحدث يا امي
ماري:- لاشيء.. الحياة العادية والامان
توني:- اتركونا وشاننا هذا ماسنقوله.. اتركونا نعيش لانريد الا ان تتركونا وشاننا
وكان العجوز البريطانية تتحدث بلسان العراقيين حين صرخت في وجه توني بلير: اتركوهم وشانهم يعيشون لانريد سوى ان تتركوهم وشانهم